

قراءة في المصطلحات الصوتية في مقدمة كتاب العين (الحيز المدرج، المبدأ، المخرج)

د. ماهر عيسى حبيب^(*)

في مشكلة البحث:

تتلخّصُ فكرةُ البحثِ في محاولةِ رَصدِ مُصطلحاتِ: (الحيز، والمدرج، والمبدأ، والمخرج) الصوتية في كتاب العين، والبحث في دالاتها اللغوية الدقيقة، وفي أصولها اللغوية، فقد شاع لدى الباحثين العرب أن الخليل استعمل المصطلحات الأربعة السابقة مترادفاتٍ بمعنى واحد، أو بعضها من المترادف، وبعضها الآخر بمعنى مختلف^(١). ورُبّما وجدنا من الباحثين من فرّق بين دالاتها، ولكنه لم يستند في تفسيرها إلى

(*) أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢١/٨/٢٠١٩ م.

(١) يُنظر مثلاً: د. عبد العزيز الصيغ، نظرية المخارج (مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثامن، جانفي ٢٠١١)، ويُقارَن بكتابه (المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠) ص ٥١، ويُنظر: محمد بن سالم المعشني، منهجية الخليل في كتاب العين (المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها مج (٣) ع (٤) ٢٠٠٧) ص ١٨، ود. إبراهيم السامرائي، الإبداع والمحاكاة في حكاية كتاب العين (دار الكرمل، عمّان، ط ١، ٢٠٠١) ص ٧٩.

كَلَامِ الْخَلِيلِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، جَعَلَهُ يَقُولُ مَا لَمْ يَقُلْ^(٢). وَكَثُرَتِ التَّفْسِيرَاتُ وَالتَّأْوِيلَاتُ الَّتِي تَتَنَاوَلُ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ^(٣)، وَلَا سِيَمَا فِي ظِلِّ الْخَلَلِ الَّذِي وُجِدَ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ كَامِلًا، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى اِحْتِمَالِ تَأَثُّرِهِ بِالْهُنُودِ^(٤).

أهمية البحث وأهدافه:

يَهْدَفُ الْبَحْثُ إِلَى رَصْدِ الْمُصْطَلِحَاتِ الْأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْخَلِيلُ فِي مُقَدِّمَتِهِ الصَّوْتِيَّةِ، مُسْتَعِينًا بِالمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ الْكَشْفِ عَنِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِكُلِّ مُصْطَلِحٍ مِنْهَا، وَبِخَاصَّةٍ فِي مُعْجَمِ ابْنِ فَارَسٍ، لِأَنَّهُ اللُّغَوِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي أَخَذَ كِتَابَ الْعَيْنِ رَوَايَةً^(٥)، أَوْ كَانَ مِنْ رَوَاتِهِ عَنِ اللَّيْثِ^(٦)، فَالْكَشْفِ عَنِ الدَّلَالَةِ الْاصْطِلَاحِيَّةِ عِنْدَ الْخَلِيلِ، مُعْتَمِدًا الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ، ثُمَّ رَصْدِ شُيُوعِ تِلْكَ الْمُصْطَلِحَاتِ عِنْدَ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ بَعْدَهُ، وَفَقَ مَا تَسْمَحُ بِهِ حُدُودُ الْبَحْثِ؛ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْإِجَابَةِ عَنِ السُّؤَالِ الْآتِي: هَلْ اسْتَعْمَلَ الْخَلِيلُ تِلْكَ الْمُصْطَلِحَاتِ بِمَعْنَاهَا الْاصْطِلَاحِيَّ مِنْ بَابِ الْمُتْرَادِفِ؛ وَهُوَ الْعَالِمُ ذُو السَّمَاتِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُمَيَّزَةِ^(٧)، وَبِخَاصَّةٍ فِي

(٢) يُنْظَرُ مِثْلًا: د. حازم سليمان الحلبي: الْخَلِيلُ رَائِدُ عِلْمِ الصَّوْتِ (مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - دِمَشْقُ مَج ٦٨، ج ٢، ١٩٩٣) ص ١٩٥.

(٣) يُنْظَرُ مِثْلًا: د. حَسِينُ نَصَّارٍ فِي كِتَابِهِ الْمُعْجَمُ الْعَرَبِيُّ نَشْأَتُهُ وَتَطَوُّرُهُ (دَارُ مِصْرَ لِلطَّبَاعَةِ د. ت) ٢٤٥/١.

(٤) يُنْظَرُ: بَحْثُ يَوْسُفِ بَكَارٍ، عُرُوضُ الْخَلِيلِ: أَصَالَةُ الْمُنْبِتِ وَإِشْعَاعَاتُ الْآخِرِ (مَجَلَّةُ جَذُورٍ، صَادِرَةٌ عَنِ النَّادِي الْأَدْبِيِّ الثَّقَافِيِّ بِجِدَّةِ، مَجَلَّد ١٠، جُزْء ٢٣، مَارِس ٢٠٠٦) ص ١٢٩-١٣٦.

(٥) د. مُحَمَّدُ جِبَارِ الْمَعْيِيدِ: الْاضْطِرَابُ فِي نُسْخِ كِتَابِ الْعَيْنِ وَمَوَادِّهِ اللُّغَوِيَّةِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ حَتَّى السَّابِعِ الْهَجْرِيِّينَ (مَجَلَّةُ الْمَوْرِدِ الْعِرَاقِيَّةِ مَجَلَّد ٣٦) الْعِدَدُ (٢) عَام ٢٠٠٩) ص ٥.

(٦) د. حَسِينُ نَصَّارٍ: دِرَاسَةٌ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الْأَدَابِ، جَامِعَةُ بَغْدَادِ، الْعِدَدُ الْعَاشِرُ ١٩٦٧) ص ٥٥.

(٧) يُنْظَرُ مَا جَمَعَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمَهْيَرِيُّ فِي حَوْلِيَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ مِنْ أَقْوَالِ فِي شَخْصِيَّةِ =

الْمَنَاخِ اللُّغَوِي الَّذِي يُعْنَى بِأَدَقِّ الْفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ؟^(٨)

- فِي دِرَاسَةِ الْخَلِيلِ الصَّوْتِيَّةِ:

أَقَامَ الْخَلِيلُ دِرَاسَتَهُ الصَّوْتِيَّةَ مُسْتَنِدًا إِلَى مَا أَسْمَاهُ: (ذُوقِ الْحُرُوفِ) الَّتِي تَتَلَخَّصُ بِأَنَّ «... كَانَ يَفْتَحُ فَاهُ بِالْأَلْفِ ثُمَّ يُظَهِّرُ الْحَرْفَ نَحْوَ: اب، اث، اخ، اع، اغ، اء، فَوَجَدَ الْعَيْنَ أَدْخَلَ الْحُرُوفَ فِي الْحَلْقِ، فَجَعَلَهَا أَوَّلَ الْكِتَابِ، ثُمَّ مَا قَرَّبَ مِنْهَا، الْأَرْفَعُ فَالْأَرْفَعُ، حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، وَهُوَ الْمِيمُ»^(٩).

وَيُمْكِنُنَا، إِجْرَائِيًّا، أَنْ نَجْعَلَ دِرَاسَةَ الْخَلِيلِ الصَّوْتِيَّةَ فِي ثَلَاثِ خُطَوَاتٍ، يَسْبِقُهَا مَدْخَلٌ يَتِمُّثَلُ بِحَدِيثِهِ عَمَّا أَسْمَاهُ الْحُرُوفَ الذُّقَّ وَالشَّفَوِيَّةَ السَّتَّةَ^(١٠)، وَأَمَّا الْخُطَوَاتُ فَأُولَئِهَا: تَقْسِيمُ الْأَصْوَاتِ إِلَى صَاحِحَةٍ وَمُعْتَلَّةٍ^(١١)، وَأَضَافَ الْهَمْزَةَ إِلَى الْمُعْتَلَّةِ فِي مَوْضِعِ ثَانٍ^(١٢)، وَلَقَّبَهَا فِي مَوْضِعِ ثَالِثٍ بِ: (الْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ)^(١٣). وَثَانِيهَا: تَرْتِيبُ الْأَصْوَاتِ عَلَى أَحْيَازٍ^(١٤)، إِذْ نَاحِظٌ تَسْمِيَةَ حَيِّزِينَ فَقَطْ (حَلْقِيَّةَ وَلَهْوِيَّتَانِ) دُونَ أَنْ يُسَمَّى بَقِيَّةَ الْأَحْيَازِ الَّتِي وَزَعَ عَلَيْهَا

= الْخَلِيلِ، (العدد ٢٨، عام ١٩٨٨ ص ٤٥): الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَكِتَابُ الْعَيْنِ، وَمَا ذَكَرَهُ د. مُحَمَّدُ حَسَانُ الطِّيَّانِ، عِلْمُ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ الْعَرَبِ (مَجَلَّةٌ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - دِمَشْقُ، مَج ٦٩، ج ١، ١٩٩٤) عَنِ شَخْصِيَّةِ الْخَلِيلِ ص ٧٧٩.

(٨) عَبْدُ الْقَادِرِ الْمَهِيرِيِّ: عَلَى هَامِشِ الْمُصْطَلَحِ النَّحْوِيِّ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ (حَوْلِيَّاتُ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٧، ١٩٨٨) ص ٢٣.

(٩) الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، الْعَيْنِ، (تَح. د. مَهْدِي الْمَخْزُومِي، وَد. إِبْرَاهِيمَ السَّامِرَائِي، مِنْ مَنَشُورَاتِ دَارِ الْهَجْرَةِ قَم، ط ١ ١٤٠٥ هـ) ٤٧/١. وَيُنْظَرُ: ٢٠١/٥: «... وَذُقْتُ فَلَانًا وَذُقْتُ مَا عِنْدَهُ، وَمَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَقَدْ ذُقْتَهُ».

(١٠) الْعَيْنُ ١/٥١-٥٢.

(١١) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ١/٥٧.

(١٢) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ١/٥٨.

(١٣) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٨/٩١.

(١٤) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ١/٥٧-٥٨.

المجموعات^(١٥). وثالثها: نسبة كل مجموعة وضعها في حيز إلى مبدأ خروجها^(١٦). فالمبادئ ثمانية، والتاسع حيز. ويلاحظ أن كل اسمائها نسبة إلى أسماء أعضاء محسوسة، أو إلى جزء من العضو، ويلاحظ كذلك أن معظم الدراسات التي تتناول مخارج الأصوات عند الخليل تعتمد توزيعه على المبادئ توزيعاً على المخارج!^(١٧) والفرق بين واضح بينهما كما سنرى.

طريقة البحث ومواده:

وسنبداً فيما يلي برصد المصطلحات: (أحياز، مدارج، مبدأ، مخرج).

المصطلح الأول: الحيز:

جاء في كتاب العين: «حيز الدار: ما انضم إليها من المرافق والمنافع، وكلُّ

(١٥) وكذلك الأمر في نص المقدمة بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، وهي أرجح النصوص صحّة، كما ذكر د. أحمد قدور في كتابه: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين (دار الفكر، ط ٢، ٢٠٠٣)، ص ٩٣-٩٤، ولكن لم ترد (حلقية، ولهويتان) في النص الذي نقله الأزهرى، يُنظر ص ١٠٣، ويُنظر: معجم تهذيب اللغة، الأزهرى، (تح عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت) ١/٤٨، كما لم يردا في نصّ أبي حيان الأندلسي في كتاب تذكرة النحاة، وثمة اختلاف كبير جداً بين نصّ أبي حيان وباقي النسخ (يُنظر ص ١١٣ من كتاب د. قدور)، ويُنظر: أبو حيان الأندلسي، تذكرة النحاة، (تح عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦).

(١٦) العين ١/٥٨، ويُنظر: تطابق عدد المبادئ وعدد النغم، كتاب النغم ليحيى بن علي المنجم، ناشره محمد بهجة الأثري (مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ج ١، ١٩٥٠) ص ١٢٠.

(١٧) يُنظر مثلاً: دراسة خليل إبراهيم الحماش: دراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين والنظرية الحديثة في علم الأصوات (مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ١٦٤، ١٩٧٣) ص ٥٠٤ من البحث، وذلك ما جعله يُظنُّ أن الخليل استعاضَ عن الأصوات الأسنانية بأحرف الدلالة: ص ٥٠٦ من البحث.

نَاحِيَةٌ حَيِّزٌ عَلَى حِدَّةٍ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ، وَجَمَعَهُ أَحْيَازٌ...»^(١٨). وفي مقاييس ابن فارس (الحَاءُ وَالْيَاءُ وَالزَّاءُ) ليسَ بِأَصْلٍ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْيَاءِ وَآؤٌ. وَمِنَ الْحَيِّزِ: النَّاحِيَةُ^(١٩). وَلِذَلِكَ فَإِنَّ «الْحَاءَ وَالْوَاوَ وَالزَّاءَ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْجَمْعُ وَالتَّجْمُعُ»^(٢٠).

وَلَمْ يُسَمَّ الْحَلِيلُ عِنْدَ تَقْسِيمِهِ الْأَصْوَاتِ إِلَى صِحَاحٍ وَمُعْتَلَّةٍ إِلَّا حَيِّزاً وَاحِداً هُوَ حَيِّزُ الْجَوْفِ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ أَصْوَاتِ الْعَلَّةِ، «فَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَيِّزٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا الْجَوْفُ»^(٢١). وَعِنْدَمَا أَضَافَ إِلَيْهَا الْهَمْزَةَ صَارَتْ جَمِيعاً فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ هَوَائِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا شَيْءٌ^(٢٢).

وَكَذَلِكَ أَثْنَاءَ تَقْسِيمِ الْحَلِيلِ الْأَصْوَاتِ إِلَى صَحِيحَةٍ وَمُعْتَلَّةٍ، يُوزَعُ الْأَصْوَاتُ الْحَلَقِيَّةَ بَيْنَ حَيِّزَيْنِ: فِي الْأَوَّلِ (الْعَيْنُ وَالْحَاءُ وَالْهَاءُ) لِتَقَارُبِ مَخَارِجِهَا، وَبَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَفِي الثَّانِي (الْحَاءُ وَالغَيْنُ)، (كُلْهَنَّ حَلَقِيَّةٌ)؛ وَلَمْ يُقَلِّ: الْحَيِّزِ الْحَلَقِيِّ، بَلِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلِحَ (حَلَقِيَّةٌ) الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ فِي التَّرْتِيبِ عَلَى الْمَبَادِيءِ كَمَا سَمَّاهَا فِي الْخُطْوَةِ الثَّلَاثَةِ، وَ(القَافُ وَالْكَافُ) لَهَوَيْتَانِ، وَلَمْ يُقَلِّ: الْحَيِّزِ اللَّهَوِيِّ، كَمَا أَنَّه لَمْ يُسَمِّ أَيَّ حَيِّزٍ آخَرَ جَعَلَ فِيهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَصْوَاتِ فِيمَا تَلَا مِنْ تَرْتِيبِ عَلَى الْأَحْيَازِ.

وَسَمَّى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ، عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ الْمِيمِ، حَيِّزَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا: حَيِّزُ الشَّفَتَيْنِ، أَوْ الْحَيِّزُ الشَّفَوِيِّ، وَحَيِّزُ ذَوْلَتِ اللِّسَانِ، جَاعِلاً الْحَيِّزَ الشَّفَوِيِّ الْحَيِّزَ الْأَوَّلَ، قَالَ: «وَالْمِيمُ مُطْبَقَةٌ، لِأَنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهَا أَطْبَقْتَ.. وَالْمِيمُ مِنَ الْحُرُوفِ الصِّحَاحِ السِّتَةِ الْمُذَلَّغَةِ الَّتِي فِي حَيِّزَيْنِ: حَيِّزِ الشَّفَتَيْنِ،

(١٨) العين ٣/ ٢٧٥.

(١٩) ابن فارس، مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ، (تح عبد السلام هارون - دار الفكر، ١٩٧٩) ٢/ ١٢٣.

(٢٠) المَصْدَرُ نَفْسَهُ ٢/ ١١٧.

(٢١) العين ١/ ٥٧.

(٢٢) المَصْدَرُ نَفْسَهُ ١/ ٥٨.

وحَيِّزٌ ذَوَّلَقِ اللِّسَانِ، وهي من التَّأْلِيفِ: الحرف الثالث للفاء والباء، وهي آخرُ الحُرُوفِ مِنَ الحَيِّزِ الأوَّلِ، وهو الحَيِّزُ الشَّفَوِيُّ»^(٢٣).

فالميمُ هي ثالثُ صَوْتٍ في تَأْلِيفِ الحَيِّزِ الشَّفَوِيِّ بَعْدَ الفَاءِ والبَاءِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ الخَلِيلَ أَرَادَ مِنْ مُصْطَلِحِ الحَيِّزِ مَا يَجْمَعُ عِدَّةَ مَخَارِجِ مُتْقَابِرَةٍ.

فَمِنَ الوَاضِحِ مِنْ تَحْلِيلِ التُّصَوِّصِ السَّابِقَةِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الخَلِيلِ لِمُصْطَلِحِ (الحَيِّزِ، الأَحْيَازِ) أَوْسَعُ مِنَ المَخْرَجِ^(٢٤)، فَالحَيِّزُ عِنْدَهُ هُوَ الفِرَاقُ مِنَ الهَوَاءِ، أَوْ مِنَ العَضْوِ المَحْسُوسِ الَّذِي يَجْمَعُ عِدَّةَ مَخَارِجِ مُتْقَابِرَةٍ، بِدَلِيلِ اسْتِعْمَالِهِ مَعَهُ حَرْفِ الجِرِ (في)، فَالمَجْمُوعَةُ فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ. وَالقَوْلُ بِعَدَمِ صِحَّةِ هَذَا الرَّأْيِ، بِحِجَّةِ أَنَّ المَخْرَجَ أَيْضاً يَشْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ صَوْتٍ غَيْرِ دَقِيقٍ^(٢٥)، لِأَنَّ الحَيِّزَ لَا يَشْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ صَوْتٍ، بَلْ يَشْمَلُ أَكْثَرَ مِنْ مَخْرَجٍ مِنَ المَخَارِجِ المُتْقَابِرَةِ، وَمِنْ غَيْرِ المُمَكَّنِ أَنَّ يَسْتَعْمَلَ الخَلِيلُ الحَيِّزَ بِمَعْنَى المَخْرَجِ، وَهُوَ صَاحِبُ البَاعِ الطَّوِيلِ بِاللُّغَةِ، وَلَا دَلَالَةَ لُغَوِيَّةً مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُمَا^(٢٦).

ووردتُ كَلِمَةُ «الحَيِّزِ» فِي كِتَابِ العَيْنِ فِي شَرْحِ كَلِمَةِ «الخَصِيلَةُ»، حَيْثُ جَاءَ: «وَالخَصِيلَةُ: كُلُّ لَحْمَةٍ عَلَيَّ حَيِّزَهَا فِي الفَخْذَيْنِ والعَضْدَيْنِ...»^(٢٧)؛

(٢٣) المَصْدَرُ نَفْسُهُ ٨ / ٤٢١.

(٢٤) وَيُطَابِقُ ذَلِكَ دَرَاةً د. خَلِيلِ إِبْرَاهِيمِ العَطِيَّةِ: جُهُودُ الكُوفِيِّينَ فِي عِلْمِ الأَصْوَاتِ (مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الآدَابِ، جَامِعَةُ البَصْرَةِ، العَدَدُ ٢٢، ١٩٩١) ص ٤٦، وَيُنظَرُ أَيْضاً: د. حَازِمِ سُلَيْمَانَ الحَلِيِّ: الخَلِيلُ رَائِدُ عِلْمِ الصَّوْتِ (مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ - دِمَشْق) ص ١٩٥، إِذْ عَبَّرَ عَنِ الحَيِّزِ بِالفِرَاقِ الَّذِي يَشْغَلُهُ عِدَّةٌ مِنَ الحُرُوفِ.

(٢٥) ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ د. عَبْدِ العَزِيزِ الصَّبِيغِ فِي دَرَاةِ: نَظْرِيَّةُ المَخَارِجِ (مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الآدَابِ وَاللُّغَاتِ، جَامِعَةُ مُحَمَّدِ خَيْضَرِ بِسْكَرَةَ) مَقَالٌ سَابِقٌ.

(٢٦) المَقَالُ السَّابِقُ نَفْسُهُ، وَجَاءَ فِي نُسْخَةِ المُتَقَدِّمَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا د. عَبْدِ اللَّهِ دَرُوشِ: (أَحْيَازٌ وَمَخَارِجٌ)، وَهُوَ تَصْخِيفٌ أَشَارَ إِلَيْهِ د. إِبْرَاهِيمُ السَّامِرَائِيُّ فِي (مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ - دِمَشْق، مَج ٤٥، ج ٤) تَحْتَ عِنْوَانِ: كِتَابُ العَيْنِ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ج ١، ص ٨٢٤ بِرَقْمِ ١٧.

(٢٧) العَيْنُ ٤ / ١٨٦.

أي: عَلَى مَكَانِهَا.

وَشَاعَ مُصْطَلِحُ الْحَيِّزِ بَعْدَ الْخَلِيلِ، فَجَاءَ (الْحَيِّزُ، الْأَحْيَازُ) عِنْدَ سَيَّبُوهِ^(٢٨)، وَعِنْدَ أَبِي عَلِيِّ الْفَارَسِيِّ^(٢٩)، وَعِنْدَ ابْنِ جَنِيِّ^(٣٠)، وَوَرَدَ عِنْدَ السُّيُوطِيِّ عِنْدَمَا تَحَدَّثَ عَنِ اخْتِرَاعِ الْخَلِيلِ الْعَرُوضِ،^(٣١) وَالْأَحْيَازِ الَّتِي أَسْمَاهَا الْخَلِيلُ ثَلَاثَةٌ هِيَ: الْجَوْفُ، وَالشَّفَّتَانُ، وَذَوْلِقُ اللِّسَانِ.

المُصْطَلِحُ الثَّانِي: الْمَدْرَجَةُ - الْمَدَارِجُ:

الْمَدْرَجَةُ: الْمَمْرُ عَلَى الطَّرِيقِ، «وَالْمَدْرَجَةُ: مَمَرُ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَسَلِكِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا»^(٣٢)، وَ«الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ الشَّيْءِ وَالْمُضِيِّ فِي الشَّيْءِ... وَمَدَارِجُ الْأَكْمَةِ: الطَّرِيقُ الْمُعْتَرِضَةُ فِيهَا»^(٣٣).
وَنُلاحِظُ أَنَّ الْخَلِيلَ عَطَفَ الْأَحْيَازَ عَلَى الْمَدَارِجِ، وَلِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْمُمَكَّنِ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، إِذْ قَالَ: «فِي الْعَرَبِيَّةِ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا: مِنْهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ... لَهَا أَحْيَازٌ وَمَدَارِجٌ»، كَمَا نُلاحِظُ أَنَّهُ حَدَّدَ الْمَدَارِجَ،

(٢٨) سيبويه، الكتاب ٤/١٠١، و٤٦٨ و٤٨١.

(٢٩) أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكروهم أبو بكر ابن مجاهد، (تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٤م) ١/٩٦ و٢/٧٥ (حيز ومخرج غير مخرج الآخر)، و٣/١٧٣ (الطاء والدال والتاء من حيز واحد).

(٣٠) ابن جنّي، الخصائص (حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط٢، د. ت) ٣/١٣.

(٣١) السُّيُوطِيُّ، الْمُزْهَرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا، (تح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، د. ت) ١/٨١.

(٣٢) العين ٦/٧٨، وجعل ابن سيدة أصل الدرّجة المنزلة والجمع دَرَجٌ، يُنظَرُ: الْمُخَصَّصُ (دار الكتب العلمية بيروت، د. ت) ٥/١٣٤.

(٣٣) ابن فارس، مقاييس اللُّغة ٢/٢٧٥.

فلا تَقَعُ الحُرُوفُ الجُوفُ «في مَدْرَجَةٍ مِنْ مَدَارِجِ اللِّسَانِ، وَلَا مِنْ مَدَارِجِ الحَلْقِ، وَلَا مِنْ مَدَارِجِ اللِّهَاءِ، إِنَّمَا هِيَ هَاوِيَةٌ فِي الهَوَاءِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَيِّزٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا الجُوفُ»^(٣٤)، فالمدارجُ في نَصِّ الخَلِيلِ السَّابِقِ ثَلَاثٌ: اللِّسَانُ، والحَلْقُ، واللِّهَاءُ. وهي أَعْضَاءٌ نُطِقَ مَحْسُوسَةً، وَلِذَلِكَ نَسَبَ الحُرُوفَ الجُوفَ إِلَى حَيِّزِ، أَي: إِلَى فَرَاغٍ، وَلَيْسَ إِلَى مَدْرَجَةٍ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالمَدْرَجَةِ العَضْوَ المَحْسُوسَ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ذَكَرَ مَدْرَجَتَيْنِ أُخْرَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لِتَصْيِيرِ المَدَارِجِ عِنْدَهُ خَمْسًا، قَالَ: «لَأَنَّ الدَّلَالَاتِ فِي المَنْطِقِ إِنَّمَا هِيَ بِطَرَفِ أَسَلَةِ اللِّسَانِ، وَالشَّفَتَيْنِ، وَهَمَا مَدْرَجَتَا هَذِهِ الأَحْرَفِ السِّتَةِ...»^(٣٥). ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ تَصْنِيفِ مَجْمُوعَاتِ الأَحْيَازِ عَلَى المَبَادِي: «فُنَسِبَ كُلَّ حَرْفٍ إِلَى مَدْرَجَتِهِ وَمَوْضِعِهِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ»^(٣٦).

فالمَدَارِجُ، وَفَقَّ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّةُ، المَمَرُّ أَوْ المَسَلُكُ، فَهِيَ عَضْوٌ مَحْسُوسٌ مِنْ أَعْضَاءِ النُّطْقِ تَرْتَفِعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ مِنْ مَخْرَجٍ إِلَى مَخْرَجٍ أَعْلَى مِنْهُ، أَوْ مِنْ مُسْتَوَى إِلَى آخَرَ أَعْلَى مِنْهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «لِتَبَايُنِ مَدْرَجَةِ الحُرُوفِ الفِخَامِ مِنْ مَدَارِجِ الحُرُوفِ الخُفْتِ...»^(٣٧).

فَلِلْحُرُوفِ الفِخَامِ (أَي: المُفَخِّمَةِ) مَدْرَجَةٌ بِصِيغَةِ المُفْرَدِ، وَثَمَّةُ مَدَارِجُ لِلْحُرُوفِ الخُفْتِ (أَي: المُرَقَّعَةِ)، فَمَخَارِجُهَا مُوزَّعَةٌ عَلَى المَدَارِجِ الثَّلَاثِ الَّتِي حَدَّدَهَا سَابِقًا؛ أَي: الحَلْقُ واللِّسَانُ، واللِّهَاءُ. أَمَّا الحَيِّزُ فَهُوَ الفَرَاغُ الَّذِي نَسَبَ إِلَيْهِ الحُرُوفَ الجُوفَ قَبْلَ قَلِيلٍ، وَبِذَلِكَ، أَي: مِنْ خِلَالِ التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ المَدْرَجِ وَالْحَيِّزِ رُبَّمَا يَكُونُ الخَلِيلُ قَدْ اسْتَطَاعَ تَصْنِيفَ الأَصْوَاتِ عَلَى

(٣٤) العَيْن ١/ ٥٧.

(٣٥) المَصْدَرُ السَّابِقُ ١/ ٥١.

(٣٦) المَصْدَرُ نَفْسَهُ ١/ ٥٨.

(٣٧) المَصْدَرُ نَفْسَهُ ٨/ ١٦٧.

المَخَارِجِ دُونَ ذِكْرِ عَضْوِي النُّطْقِ الْمُكَوِّنِينَ لِلصَّوْتِ، كَمَا فَعَلَ سَبِيوِيهِ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، بَلْ اعْتَمَدَ عَلَى خِبْرَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ الكَبِيرَةِ فِي التَّفْرِيقِ الدَّقِيقِ بَيْنَ دَلَالَةِ المُصْطَلِحَاتِ، وَحِسِّهِ المُرْهَفِ، وَمُلاحِظَتِهِ الدَّقِيقَةَ.

ويُلاحِظُ أَنَّ مُصْطَلِحَ المَدْرَجَةِ، أَوِ المَدَارِجِ، لَمْ يَرِدْ عِنْدَ سَبِيوِيهِ، وَلَكِنَّهُ وَرَدَ عِنْدَ ابْنِ دُرَيْدٍ^(٣٨)، وَعِنْدَ ابْنِ جَنِيٍّ^(٣٩).

والمَدَارِجُ الَّتِي ذَكَرَهَا الخَلِيلُ هِيَ: الحَلْقُ، وَاللِّسَانُ، وَاللِّهَاءُ، وَطَرَفُ أَسَلَةِ اللِّسَانِ، وَالشَّفَتَانِ.

المُصْطَلِحُ الثَّلَاثُ: المَبْدَأُ:

«بَدَأَ الشَّيْءَ يَبْدَأُ؛ أَي: يَفْعَلُهُ قَبْلَ غَيْرِهِ... وَالبَدْيُ: الشَّيْءُ المَخْلُوقُ... وَالبَدْءُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّدُ الَّذِي يُعَدُّ فِي أَوَّلِ مَنْ يُعَدُّ فِي سَادَاتِ قَوْمِهِ... وَالأَبْدَاءُ: المَفَاصِلُ... وَبِئْرٌ بَدْيٌ: لَيْسَتْ بِعَادِيَّةٍ، ابْتَدَتْ فَحَفِرَتْ بَدِيئًا حَدِيثًا»^(٤٠). وَيَدُلُّ أَصْلُهُ اللُّغَوِيُّ عَلَى «افْتِتَاحِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَدَأْتُ بِالأَمْرِ وَابْتَدَأْتُ مِنَ الإِبْتِدَاءِ...»^(٤١).

اسْتَعْمَلَهُ الخَلِيلُ فِي الخُطْوَةِ الثَّلَاثَةِ، وَالمَبَادِي عِنْدَهُ ثَمَانِيَّةٌ وَالتَّاسِعُ حَيِّزٌ، وَهِيَ «حَلَقِيَّةٌ، لَهْوِيَّتَانِ، شَجْرِيَّةٌ، أَسَلِيَّةٌ، نَطْعِيَّةٌ، لِيُوتِيَّةٌ، ذَلْقِيَّةٌ، شَفْوِيَّةٌ، أَوْ شَفْهِيَّةٌ»^(٤٢). وَأغْلِبُ الظَّنِّ أَنَّ الخَلِيلَ أَرَادَ بِهِ مَكَانَ إِبْتِدَاءِ التَّصْوِيتِ بِالحَرْفِ وَالإِسْتِهْلَالِ بِهِ.

(٣٨) ابن دريد، جمهرة اللُّغة (تحقيق رمزي مُنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧) ٤٦/١.

(٣٩) ابن جني، سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٣) ٥-٤/١.

(٤٠) العَيْنُ ٨٣/٨-٨٤.

(٤١) ابن فارس، مقاييس اللُّغة ٢١٢/١.

(٤٢) العَيْنُ ٥٨/١.

وسبق أن رأينا أن الحلق كان حيزاً، ومدرجةً، ومبدأً، ومخرجاً، واللهاة هي مدرجة، ومبدأً، ولا ذكر للسان الذي كان مدرجةً، بل جاء ذكر جزيين منه هما: (أسلته: مستدق طرفه كان مدرجة أيضاً، وذلكه)، مع ملاحظة أن الشفتين كانتا حيزاً ومدرجة، في حين جاءت النسبة في المبادئ إلى الشفة بصيغة المفرد، ويبقى لدينا: الشجرية، والنطعية، واللثوية.

والأولى نسبة إلى شجر الفم الذي شرحه بقوله: «أي: مفرج الفم». وجاء في موضع آخر: «والشجر: مفرج الفم»^(٤٣)، وجاء مصطلح (حروف الشجر) في موضع ثالث^(٤٤). وأستطيع أن أقول بكل ثقة: لم ترد لفظة «شجر» بهذه الدلالة في كتاب العين كاملاً إلا في هذه المواضع الثلاثة، مما يعكس جدة المصطلح عند الخليل، واعتماده على ذخيرته اللغوية الضخمة في توليد المصطلحات.

وأما النطعية فهي نسبة إلى نطح الغار الأعلى، «والنطح مثل فخذ وفخذ: ما ظهر من الغار الأعلى، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخليقة، وفيها آثار كالتحزيز... ومنهم من يقول للأسفل والأعلى: نطعان»^(٤٥). وكذلك «تعمق في كلامه: تنطع»^(٤٦). و«الوكف: النطح»^(٤٧). ولم يرد أيضاً في كتاب العين بهذه الدلالة إلا في هذه المواضع، مما يؤكد جدة المصطلح أيضاً؛ وأن الخليل هو من ابتدع هذه المصطلحات.

(٤٣) المصدر السابق ٦/ ٣٢.

(٤٤) المصدر نفسه ٨/ ١٦٧.

(٤٥) المصدر نفسه ٢/ ١٦، وورد في المخصص النطح، والنطع، والنطع: ما ظهر من غار

الفم الأعلى ١/ ١٥٦.

(٤٦) المصدر نفسه ١/ ١٨٧.

(٤٧) المصدر نفسه ٥/ ٤١٣.

والثلثوية نسبةً إلى اللثة التي لم ترد في معجم العين^(٤٨)، ولا في مقياس ابن فارس، رغم ورودها في شرح بعض الألفاظ؛ فجاء مثلاً: «الثاهة اللهاة، ويُقال: هي اللثة»^(٤٩).

ويلاحظ أن المبادئ الثمانية كلها نسبةً إلى أسماء أعضاء محسوسة، أو إلى جزء من العضو، ولللسان فيها مبدآن: أسلته، وذلكه. وهو على الأغلب أراد بذلك اللسان رأسه من الأمام، وهو حيز، أمّا أسلته فطرفه من أعلى، وهي مدرجة، وكلاهما مبدأ.

ويلاحظ غياب صوت الهاء من مجموعة الحلقية التي مبدؤها الحلق^(٥٠)، الذي ورد في الخطوة الثانية، أي: في ترتيب الأحياز، ف «الهاء حَرْفٌ هَشٌّ لَيْنٌ قَدْ يَجِيءُ خَلْفًا مِنَ الْأَلْفِ الَّتِي تُبْنَى لِلْقَطْعِ»^(٥١) و«هي نفس لا اعتياص فيها»^(٥٢).

(٤٨) يُنظر: عبد الحميد هندراوي، كتاب العين مُرتباً على حروف المُعجم ٤/ ٧٠.

(٤٩) المصدر نفسه ٤/ ٨٢، ويُنظر: ٨/ ١٧٤، و ٦/ ١٠، و ٨/ ٣٤٤، و ٤/ ٣١٢، و ١/ ١٩٦.

(٥٠) من الجدير ذكره أن د. أحمد قدور ذكر الهاء في الترتيب على المبادئ (يُنظر المدخل إلى فقه اللغة، جامعة حلب، كلية الآداب ١٩٩١، ص ١٠٦). والنسخة التي بين أيدينا لكتاب العين لا وجود لهذا الصوت فيها بين أصوات الحلق عند التوزيع على المبادئ (تح. د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي)، ولا وجود لها في الترتيب الذي أورده د. يحيى الجبوري في (مجلة الذخائر العدد ٤، خريف ٢٠٠٠م) في دراسة بعنوان: من موارد العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ص ٢٥٧، وهي موجودة في نصوص المقدمة في كل الروايات الأخرى، يُنظر كتاب د. أحمد قدور: (أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين) ص ٩٣-٩٤، و ص ١٠٣، و ص ١١٣.

(٥١) العين ٤/ ١٠٢، ويُنظر: ٥/ ٢٠٩، و ٣/ ٣٦٥، و ٤/ ٨٠، و ٤/ ١٠٣.

(٥٢) المصدر نفسه ١/ ٥٤، ويُنظر ٣/ ٣٥٥. ويُنظر تتبع الصفات التي وصف الخليل بها الهاء، د. أحمد قدور: (أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين)، ص ٤٤.

ولذلك، على الأغلب، لم يذكرها عند التوزيع على المبادئ كما لم ينسب حروف العلة في الخطوة الثالثة إلى مبدأ، بل إلى حيز، على الأرجح، لأنها تشبه أحرَف العلة^(٥٣). ولذلك لم ينسبها إلى مبدأ؛ أي: إلى عضو محسوس، بل نسبها مع العين والحاء إلى حيز من أحياء الحلق في الخطوة الثانية.

فيبدو أن المقصود بمصطلح المبدأ نقطة بدء خروج الصوت من العضو المحسوس، ولذلك أخرج الهاء من المجموعة الحلقية التي مبدؤها الحلق، فهي من حيز الحلق كما بدا واضحاً في الخطوة الثانية، ولذلك أيضاً قد يكون نسب أحرَف العلة والهمزة إلى حيز، لا إلى مبدأ عند تصنيف الأصوات على المبادئ، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة.

المصطلح الرابع: المخرج:

جاء في كتاب العين: «الخروج: نقيض الدخول، خرج يخرجُ خروجاً فهو خارجٌ»^(٥٤). وفي مقاييس ابن فارس: «الحاء والجيم والراء أصلان... فالأول التفاضل عن الشيء. والثاني اختلاف لونين»^(٥٥).

ونلاحظ استعمال الخليل للفظ «المخرج» فيما أطلقنا عليه إجرائياً اسم المدخل عند تقسيم دراسة الخليل الصوتية إلى ثلاث خطوات، ثم في الخطوة الثانية عند التوزيع على الأحياء؛ أمّا وروده في المدخل فعند حديثه عن أحرف الدلالة في قوله: «... وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفتين

(٥٣) يُنظر ما ذكره د. رضوان نيس عبد الله من قربها من الحركات عند المحدثين واختلافهم فيها: مقال بعنوان: الهاء العربية: الصوت والوظائف (دراسة توليدية) (مجلة علوم اللغة

العربية، مج ١٠، ٣، ٢٠٠٧ القاهرة)، ص ٧٥.

(٥٤) العين ٤/ ١٥٨.

(٥٥) مقاييس اللغة ٢/ ١٧٥.

خَاصَّةً... وأما سائر الحُرُوفِ فَإِنَّهَا ارتفعتْ فوقَ ظَهْرِ اللِّسَانِ مِنْ لَدُنْ بَاطِنِ الشَّيْءِ مِنَ عِنْدِ مَخْرَجِ التَّاءِ إِلَى مَخْرَجِ الشَّيْنِ بَيْنَ الْغَارِ الْأَعْلَى وَبَيْنَ ظَهْرِ اللِّسَانِ... وَأَمَّا مَخْرَجُ الْجِيمِ وَالْقَافِ وَالْكَافِ فَمِنْ بَيْنِ عُقْدَةِ اللِّسَانِ وَبَيْنِ اللَّهَاءِ فِي أَقْصَى النَّمِ. وَأَمَّا مَخْرَجُ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ وَالْهَاءِ وَالْخَاءِ وَالغَيْنِ فَالْحَلْقُ. وَأَمَّا الْهَمْزَةُ فَمَخْرَجُهَا مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ مَهْتُوتَةٌ مَضْغُوتَةٌ»^(٥٦).

وَأَمَّا وَرُودَ لَفْظَةِ «الْمَخْرَجِ» فِي الْخُطُوبَةِ الثَّانِيَةِ فَعِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ أَحْرَفِ الْحَلْقِ دُونَ ذِكْرِ مَخَارِجِ سَائِرِ الْحُرُوفِ الَّتِي وَزَعَهَا عَلَى الْأَحْيَازِ؛ قَالَ: «... فَأَقْصَى الْحُرُوفِ كُلُّهَا الْعَيْنُ ثُمَّ الْحَاءُ، وَلَوْلَا بَحَّةٌ فِي الْحَاءِ لِأَشْبَهَتْ الْعَيْنَ؛ لِقُرْبِ مَخْرَجِهَا مِنَ الْعَيْنِ، ثُمَّ الْهَاءُ، وَلَوْلَا هَتَّةٌ فِي الْهَاءِ - وَقَالَ مَرَّةً هَمَّةٌ - لِأَشْبَهَتْ الْحَاءَ؛ لِقُرْبِ مَخْرَجِ الْهَاءِ مِنَ الْحَاءِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أَحْرَفٍ فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ...»^(٥٧).

بِإِمْعَانِ النَّظْرِ فِي النَّصِّ الْأَوَّلِ نُلَاحِظُ أَنَّ تَحْدِيدَ الْمَخْرَجِ عِنْدَ الْخَلِيلِ كَانَ بَيْنَ عُضْوَيْ نُطْقٍ عَلَى الْأَغْلَبِ؛ فَحَدَّدَ مَخْرَجَ (الفاء والباء والميم) مِنْ بَيْنِ الشَّفَتَيْنِ، وَحَدَّدَ مَخْرَجَ (الجيم والقاف والكَاف) بَيْنَ عُضْوَيْنِ عَلَى نَحْوِ مَا فَعَلَ سَبِيوِيهِ بَعْدَهُ، وَكَذَلِكَ حَدَّدَ مَخَارِجَ سَائِرِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخْرَجِ التَّاءِ إِلَى مَخْرَجِ الشَّيْنِ: مَا بَيْنَ الْغَارِ الْأَعْلَى وَظَهْرِ اللِّسَانِ، أَمَّا عِنْدَ تَحْدِيدِهِ مَخْرَجَ الْهَمْزَةِ فَذَكَرَ أَقْصَى الْحَلْقِ فَقَطْ؛ لِأَنَّ سَبْقَ أَنْ رَأَيْنَا الْخَلِيلَ جَعَلَ الْحَلْقَ حَيْزًا، وَمَدْرَجًا، وَمَبْدَأًا، وَهُوَ الْآنَ مَخْرَجٌ.

وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي النَّصِّ الثَّانِي فَنَظَرَةٌ مُتَفَحِّصَةٌ فِيهِ تُظْهِرُ صِحَّةَ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْحَيْزَ يَشْمَلُ عِدَّةَ مَخَارِجٍ مُتَقَارِبَةٍ؛ فَمَخْرَجِ الْحَاءِ قَرِيبٌ مِنْ مَخْرَجِ

(٥٦) العين ١/ ٥٢.

(٥٧) المصدر نفسه ١/ ٥٧-٥٨.

العَيْن فِي الْحَلْقِ، وَمَخْرَجُ الْهَاءِ قَرِيبٌ مِنْ مَخْرَجِ الْحَاءِ، وَالْأَحْرَفُ الثَّلَاثَةُ فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ.

وَتَتَّبِعُ لَفْظَةَ «مَخْرَجٍ» فِي كِتَابِ الْعَيْنِ يُظْهِرُ أَنَّ الْخَلِيلَ اسْتَعْمَلَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَكَانِ خُرُوجِ كُلِّ شَيْءٍ خَارِجٍ مِنْ شَيْءٍ^(٥٨)، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ مَوَاضِعِ وَرُودِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَخْرَجِ الْحَرْفِ^(٥٩)، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِبْدَالِ اللَّغَوِيِّ^(٦٠)، أَوْ عَلَى التَّصْرِيفِ أحياناً^(٦١).

فَالْمَخْرَجُ عِنْدَهُ نَقْطَةُ خُرُوجِ الصَّوْتِ مِنَ الْحَيْزِ، وَالْمَدْرَجَةُ، وَالْمَبْدَأُ، وَهُوَ الْمَصْطَلَحُ الَّذِي شَاعَ بَعْدَهُ عِنْدَ جَمِيعِ اللَّغَوِيِّينَ الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

الاستنتاجات:

لَعَلَّ أَوَّلَ نَتِيجَةٍ تَوْصَلَ إِلَيْهَا الْبَحْثُ هِيَ أَنَّ الْمَصْطَلِحَاتِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي تَنَاطَلَهَا لَمْ تَكُنْ مُتْرَادِفَةً عِنْدَ الْخَلِيلِ، بَلْ جَاءَتْ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الظُّوَاهِرِ الْمُتَقَارِبَةِ، مُسْتَنَدًا إِلَى ذَخِيرَتِهِ اللَّغَوِيَّةِ الضَّخْمَةِ، فَضْلًا عَنِ فِطْرَتِهَا، وَعَفْوِيَّتِهَا، وَمُطَابَقَتِهَا لِدَلَالَتِهَا اللَّغَوِيَّةِ.

فَالْحَيْزُ: هُوَ الْفِرَاعُ الَّذِي يَجْمَعُ عِدَدًا مِنَ الْمَخَارِجِ الْمُتَقَارِبَةِ، وَالْأَحْيَازِ عِنْدَ الْخَلِيلِ ثَلَاثَةٌ: الْجَوْفُ، وَالشَّفَتَانِ، وَذَوْلِقُ اللَّسَانِ.

وَالْمَدْرَجَةُ: عُضْوٌ مَحْسُوسٌ مِنْ أَعْضَاءِ النَّطْقِ، تَرْتَفِعُ فِيهِ مَخَارِجُ الْأَصْوَاتِ مِنْ مَخْرَجٍ إِلَى مَخْرَجٍ أَعْلَى مِنْهُ، أَوْ مِنْ مُسْتَوَى إِلَى آخَرَ أَعْلَى مِنْهُ. وَالْمَدَارِجُ الَّتِي أَسْمَاهَا هِيَ: الْحَلْقُ، وَاللِّسَانُ، وَاللِّهَاءُ، وَطَرَفُ أَسَلَةِ اللَّسَانِ، وَالشَّفَتَانِ.

(٥٨) العَيْن ٢٨/٣، وَيُنظَرُ: ١٦٨/١، ٧٧/٥، ١١٦/٥، ٣٤٥/٥، ١٧٠/٧، ٤٢٥/٧.

(٥٩) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٢٤٣/٤، ٢٠٩/٥، ١٨٦/٧.

(٦٠) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٢١٧/٢.

(٦١) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ١٧٠/٧.

والمَبْدَأُ: مكان ابتداء التَّصْوِيتِ بالحَرْفِ والاستهلال به. والمَبَادِيءُ عِنْدَهُ ثَمَانِيَةٌ، كُلُّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَسْمَاءِ أَعْضَاءِ مَحْسُوسَةٍ، أَوْ إِلَى جِزءٍ مِنَ الْعَضْوِ، وَكَانَ لِللِّسَانِ، الَّذِي جَعَلَهُ مَدْرَجَةً، فِيهَا مَبْدَأَانِ: أَسْلَتُهُ، وَذَلْقُهُ، وَجَاءَ الْمَبْدَأُ مِنَ الشَّفْتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا حَيِّزًا وَمَدْرَجَةً بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ: الشَّفَّةِ.

أَمَّا الْمَخْرُجُ فَهُوَ: نَقْطَةُ خُرُوجِ الصَّوْتِ مِنَ الْحَيِّزِ، وَالْمَدْرَجَةِ، وَالْمَبْدَأِ.

وَيُلاحِظُ أَنَّهُ بِاعْتِمَادِهِ عَلَى التَّفْرِيقِ الدَّقِيقِ بَيْنَ دَلَالَةِ الْمُصْطَلِحَاتِ اسْتَعْنَى عَنِ تَحْدِيدِ الْمَخْرُجِ بَيْنَ عُضْوَيْ النُّطْقِ.

وَتَوَصَّلَ الْبَحْثُ إِلَى جَدَةِ مُصْطَلِحَاتِ صَوْتِيَةٍ رُبَّمَا كَانَ الْخَلِيلُ مُبْتَدِعَهَا؛

مِثْلَ: شَجَرِ الْفَمِ، وَالنَّطْعِ.

* * *

المصادر والمراجع

- إبراهيم السامرائي: الإبداع والمحاكاة في حكاية كتاب العين، دار الكرم، عمّان، ط ١، ٢٠٠١.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢، د. ت.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداي، دار القلم - دمشق، ط ٢، ١٩٩٣.
- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري): جمهرة اللُّغة، تحقيق رمزي مُنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.

- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المُخصّص، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا): مُعجم مقاييس اللُّغة، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩.
- أبو حيان الأندلسي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.
- أبو علي الفارسي (الحسن بن عبد الغفار الفارسي): الحجة للقراء السّبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر ابن مجاهد، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط ١، ١٩٨٤.
- أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مُقدّمة كتاب العين، (دار الفكر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٣).
- أحمد محمد قدور: المدخل إلى فقه اللُّغة العربيّة، جامعة حلب، كلية الآداب، ١٩٩١.
- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): مُعجم تهذيب اللُّغة، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصريّة للتأليف والترجمة، د. ت.
- حسين نصّار: المُعجم العربيّ نشأته وتطوره (دار مصر للطباعة د. ت).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السّامرائي، من منشورات دار الهجرة - قم، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط ٢، ١٩٨٢.

- الشُّيوطي: (أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين):
المُزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٣، د. ت.
- عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصَّوتِيّ في الدِّراسات العَرَبِيَّة، دار الفكر،
دمشق، ط ١، ٢٠٠٠.
- عبد الحميد هنداي، كتاب العَيْن مُرتباً على حروف المُعجم، دار
الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- يحيى بن علي المُنجم: كتاب النغم، ناشره محمد بهجة الأثري، مجلة
المجمع العلمي العراقي بغداد، ج ١، ١٩٥٠.

الدُّوريات:

- إبراهيم السامرائي، كتاب العَيْن للخليل بن أحمد - ج ١، مجلة مجمع
اللُّغة العَرَبِيَّة - دمشق مج ٤٥، ج ٤، ١٩٧٠.
- حازم سُليمان الحلي: الخليل رائد علم الصَّوت، مجلة مجمع اللُّغة
العَرَبِيَّة دمشق، مج ٦٨، ج ٢، ١٩٩٣.
- حسين نصار، دراسة في كتاب العَيْن للخليل بن أحمد، مجلة كُليَّة
الآداب، جامعة بَغداد، العدد العاشر، ١٩٦٧.
- خليل إبراهيم الحماش: دراسة مُقارنة للنواحي الصَّوتِيَّة في كتاب العَيْن
والنَّظريَّة الحديثة في علم الأصوات، مجلة كُليَّة الآداب، جامعة بغداد،
١٦٤، ١٩٧٣.
- خليل إبراهيم العطية: جهود الكوفيين في علم الأصوات، مجلة كُليَّة
الآداب، جامعة البصرة، العدد ٢٢، ١٩٩١.
- رضوان نيس عبدالله، الهاء العَرَبِيَّة: الصوت والوظائف (دراسة توليدية)،
مجلة علوم اللُّغة العَرَبِيَّة، القاهرة، مج ١٠، ع ٣، ٢٠٠٧.

- عبد العزيز الصيغ نظرية المَخارج، مجلة كَلِيَّة الآداب واللُّغات، جَامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثَّامن، جانفي ٢٠١١.
- عبد القادر المهيري: الخليل بن أحمد وكتاب العَيْن، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٢٨، عام ١٩٨٨.
- عبد القادر المهيري: على هامش المُصطلح النحوي في كتاب العَيْن، حوليات الجامعة التونسية، ع٢٧، ١٩٨٨.
- محمد بن سالم المعشني، مَنهجيَّة الخَليل في مُعجم العَيْن، المَجلة الأردنية في اللُّغة العَرَبِيَّة وآدابها، مج(٣)، ع(٤)، ٢٠٠٧.
- محمد جبار المعبيد: الاضطراب في نُسخ كتاب العَيْن ومواده اللُّغويَّة من القرن الرابع حتى السابع الهجريين، مجلة المورد العراقية، مجلد (٣٦)، العدد (٢)، عام ٢٠٠٩.
- محمد حسان الطيان، علم الأصوات عند العرب، مجلة مجمع اللُّغة العَرَبِيَّة، دمشق، مج ٦٩، ج ١، ١٩٩٤.
- يحيى الجبوري، من موارد العَيْن للخليل بن أحمد الفراهيدي، مجلة الذخائر، العدد ٤، خريف ٢٠٠٠.
- يوسف بكَار، عروض الخليل: أصالة المنبت وإشعاعات الآخر، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلد ١٠، جزء ٢٣، مارس ٢٠٠٦.